وريش ماعمه والتماثيل ما عجل وانما كانوا احجارا مخصوصة واشجارا واشخاصه وهذا الجواب
ليس بقوي لانه لا يجوز ان يريد بهذا الدعاء الاجابة بحمد الله والحج كما تقدم في ذلك والرابع ان هذا الدعاء
مختص بالمؤمنين من اولاده والدليل عليه انه قال في اخر الاية ومن تبعني فانه مني وذلك يدل على ان من لم يتبعه
على دينه فانه ليس منه ومن اولاده والخامس انه عم وان آدم في حق ابنائه الصلبية وخصه لان الله تعالى اجاب
دعاءه في حق البعض دون البعض وذلك لا يوجب تحقير الانبياء عليهم السلام ونظيره قوله تعالى في حق ابرهيم قال
اني جاعلك للناس اماما قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين الى هنا كلام الامام قوله فانه مني اي
بعضي لا يريد ان من في قوله كمن المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض وهذا تفسير معنى البعضية بقوله لا ينفك
عني في امر الدين اي فكان بذلك كانه بعض مني قوله وفيه دليل على ان كل ذنب فلله تعالى ان يغفره فكانه
لان هذا الكلام من ابراهيم عليه السلام شفاعة منه في حق اهل العصيان مطلقا بان يغفر لهم ويرحمهم باي ذنب
كان ولا شك ان مطلق المعصية يتناول الشرك وما دونه فلو كان مغفرة الشرك مما يستحيل منه تعالى
ولما وقعت هذه الشفاعة منه عم كانه يقول فانك تقدر على ان تغفر وترحم للشرك
مع عظم جرمه فضلا عن ساير العصاة فاسألك ان ترحم وتغفر من لا يكون مغفرتهم ورحمتهم مخالفا
لحكمتك وفي الوسيط قال السدي قوله ومن عصاني فانك غفور رحيم معناه ومن عصاني ثم تاب
فانك غفور وقال مقاتل ومن عصاني فيما دون الشرك فانك غفور رحيم وقال ابن الانباري ويحتمل
هذا كان قبل ان يعلمه الله انه لا يغفر الشرك كما استغفر لابيه وقال ان ما هذا العدول من ابراهيم
في حق اصحاب الكباير ممن آمن منهم لا في اسقاط عقاب الكفر والشرك لانه عم قال في مقدمة هذه الاية واجنبني
وبني ان نعبد الاصنام والمتبرء عن الكفر بهذا الدعاء والتضرع دل ذلك على ان مراده بهذه الاية الشفاعة
في حق العصاة ممن آمن به وايضا قد انعقد الاجماع على انه يجوز الشفاعة في اسقاط عقاب الكفر فدل
على انه ليس الدعاء مراده الشفاعة في حق المشركين قوله الذي حرمت التعرض له ذكر التوصيف
البيت بكونه محرما له اوجه مبني الوجه الاول كون المحرم من التحريم الذي هو ضد التحليل وصف البيت
بالمحرم مبالغة في توصيفه بحرمة اهانته والتعرض له بسوء ومبنى الوجهين الاخيرين كونه من التحريم
بمعنى المنع يقال حرمه الشيء واحرمه اذا منعه اياه قال تعالى وحرمنا عليه المراضع فانه ليس من التحريم
بمعنى لا يحل له المراضع بل هو بمعنى المنع اي منعناه عنه لنرده الى امه فكذا قوله عند بيتك المحرم اي
الممنوع عن الخلق حتى لم يقدروا عليه الزراعة والملوك العلية او الممنوع منه الطوفان قوله ولو دعا
بهذا الدعاء اول ما قدم جواب عما يقال الخليل اسماعيل كان بمكة قبل بناء الكعبة فكيف يصح منه ان يقول اسكنته بواد
عند بيتك واجاب عنه بان مراده عند بيتك الذي سيحدث في هذا الوادي فقوله غير ذي زرع توصيف للوادي باعتبار ما
كان وقت قدومه وقوله عند بيتك توصيف له باعتبار ما سيحدث فيه واشعر بقدر هذا الدعاء بعد ان كان

بكون دعاءه هذا بعد بنائها البيت حال كبر اسمعيل كما ذكره الامام جواب السؤال الاول من انه نقل ان ابراهيم عم
لما فرغ من بناء البيت ذكر هذا الدعاء هذا التقرير مبني على ما وجدت في نسخة مطلقة وهو عبارة
ماكان وما سوقل بالواو دون او ثم ظهر ان باقي النسخ بكلمة فيكون المعنى قوله عم اول ما قدم عند بيتك
مبني على كان قبل الطوفان وانما سيحدث بعد بنائه وفي التيسير قراءة هذا الدعاء كان بعد بنائه
البيت وقيل كان قبل بنائه لكن كان الله تعالى ابان له موضع البيت فصحت الاشارة اليه قوله
ما اسكنتهم بهذا الوادي البلقع من كل مرتفق ومرتفق الا لاقامة الصلوة البلقع الارض القفر التي
لا شيء بها والقفر مفازة لا نبات بها ولا ماء والارتفاق الانتفاع والمرتفق محل الانتفاع يكون مصدرا ميميا بمعنى
المنقول اي من كل ما ينتفع به ويحصل ان يكون بمعنى محل الانتفاع والحصر مدلول عليه بالاستثناء بعد النفي
من تقدير محذوف مؤخر يتعلق به هذا المذكور اي ليقيموا اسكنتهم هذا المكان البلقع اخبر اولا بانه
اسكنهم بواد قفر واوضح فيه حاجتهم الى الرزق واستشعر عند بيتك المحرم ان وجه الايثار انما هو
شرف الجوار ثم صرح ثانيا بانه انما اثر ذلك الموضع ليعمروا حرمك المحرم باقامة الصلوة المعروفة
وما اشتملت عليه من الاذكار والدعوات اوباداء العبادات والقربات مطلقا وتخصيص الصلوة بالذكر من
قبيل الاكتفاء بذكر معظم افراد الطبيعة النوعية عن ذكر الكل وبني على اسكانهم في الوادي المذكور
لهذا الغرض الدعاء بقوله فاجعل افئدة من الناس وبدا ان قوله ليقيموا الصلوة غير متعلق باسكنت
المذكور بحلاله ربنا ثانيا بين الفعل ومتعلقه وهنا يتخلل الاول الفصل وبتكرار النداء وتوسيطه صريح
في انه متعلق بالمذكور ولا يكون الكلام حينئذ مشتملا على شيء من طرق الحصر الا من اسلوب الكلام وسياقه
ذكر الوادي لاجل التوسع في اسباب المعيشة حيث وصف موضع الاسكان بكونه غير ذي زرع ثم لما وصفه بكونه عند
بيت الله المحرم دل ذلك على انه انما اثر ذلك الموضع للاسكان للانقطاع لعبادة الله تعالى والتبتل اليه والتوكل
بشرف جوار بيته ثم انه لما كرر ذكر قوله ربنا اشعر ذلك بانه كمال الاهتمام بشأن المطلوب الموعود وبجلالة
هذه الامور لما علل اسكانه في الوادي المذكور بقوله ليقيموا ادل ذلك على ان المقصود من اسكانه بذلك الوادي
باشتغالهم التي هي عماد الدين قوله او للابتداء كقولك القلب مني سقيم اي القلب الكائن مني وافئدة كانه قيل افئدة من الناس والمعنى
نكر لفظ الناس حيث افئدة ناس مع انه في الاية معرف باللام لان الافئدة في الاية وقعت منكرة ولما
اراد تصوير كون القلوب مبتدأة من الناس امنا والافئدة ابهمه ونكر الناس بمحافظة معنى تنكير افئدة في الاية
فان تنكير المضاف اليه يفيد ما يستفاد من تنكير المضاف مقام الاثبات من البعضية وعدم الاستغراق والعموم وناس
جمع فهي قوله افئدة من الناس ان كان المراد من الناس المعرف باللام في هذا التعبير محمول على العموم قوله وقرئ آفدة
باشباع كسرة الهمزة ورد بان الاشباع انما يرتكب لاجل ضرورة الشعر وكيف يحمل عليه افصح الكلام وقيل انها اسم فاعل
وظنها الراوي زيادة ياء بعد الهمزة وليس كذلك وانما الرواية آفدة على وزن فاعلة او لامع تقديم

Copyright © King Saud University